معلقة طَرَفة بن العبد (١)

ايها السادة !

كلفت ان اتكلم على مئة بيت شعر ونيّف من كلام عرب الجاهلية . وضربت لي مدة للكلام لا أراها بالتي تكفي لذلك لان الابيات تحتاج الى شرح وتفسير معنى ومن دون ذلك لا يكون للمحاضرة معنى : مئة البيت هذه هي التي تسمى (معلقة طرفة ابن العبد) .

ومعلقة طَرَفة واحدة من معلقات سبع . والمعلقات السبع بعض شعر الجاهلية . وشعر الجاهلية طائفة من الشعر العربي . والشعر العربي فن من فنون الآداب العربية .

فاذا حاولنا ان نلمّ بهذه المقدمات نفد الوقت قبل الوصول الى (معلقة طرفة) .

فالاجدر بنا اذن أن نعمد الى تلك المعلقة التي هي موضوع محاضرتنا ونهجم عليها تواً من دون تعريج على شيء آخر سواها :

(لماذا سميت المعلقات معلقات ؟)

غير ان هناك امراً أحببت التعرض له وهو لماذا سميت هذه القصائد بالمعلقات ؟

المشهور انها سميت بذلك لانها كانت معلقة على جدران الكعبة او مرقومة على ستائرها وانكر قوم ذلك . ومنهم (ابو جعفر النحاس النحوي) من رجال القرن الرابع للهجرة . فقالوا — في سبب التسمية — كان الملك في الجاهلية إذا أعجبته قصيدة قال لهم علّقوا لنا هذه يعني اكتبوها لتبقى محفوظة في خزانته مع الاعلاق النفيسة .

وربما أيد هذا القول أن قريشاً كانوا قوماً حمساً اي شديدي الحماسة التعصب لديانتهم . وناهيكم بمنزلة الكعبة وقداستها في نفوسهم فيبعد أن يسمحوا بتعليق شعر فيه تصريح بالفحش والعهر احياناً — على كعبتهم المقدسة .

وزد على ذلك أن كتّاب السيرة النبوية ذكروا أن النبي (صلعم) والصحابة في فتح

---

(١) اول محاضرة أُلقيت في قاعة مجمعنا العلمي لاحد اعضائه « المغربي » وذلك مساء الاحد الواقع في ١٧ نيسان سنة ١٩٢١

مكة دخلوا الكعبة وحطموا الاصنام التي فيها وأزالوا عنها كل معالم الجاهلية حتى انهم كانوا يحملون الماء بتروسهم و يصبونه على جدرانها لمحو الصور المنقوشة عليها بالاصباغ . ولم يذكر ان المعلقات كانت مما أزيلت أو أنزلت عن الجدران .

(الاسباب التي نظمت معلقة طرفة من اجلها)

ليست محاضرتنا في (طرفة) نفسه لنسهب في ترجمته . وانما نلمّ من سيرته بما له تعلق في سبب نظم المعلقة :

كان (طرفة) من قبيلة بكر بن وائل التي يضرب بها المثل في العزة والكثرة وكان بيته في الذروة والسنام من تلك القبيلة . وكان هو شاباً جميلاً فصيحاً جريئا . ومن كان في مثل حالته ومنزلته لا يلبث ان يتصل بالملوك فيكون نديماً لهم وجليسا . وكان ملك العرب اذ ذاك عمرو بن هند وعاصمته (الحيرة) . فاتصل به طرفة ونادمه . ثم نقم منه الملك بعد ذلك اشياء وحقد عليه من أجلها :

قالوا : رآه يوماً يمشي بين يديه وهو يتخالج في مشيته اي يتمايل و يتبختر غير حاسب للملك حسابا .

وكانا مرةً يشربان فرأى في الجام (اي الكأس) الذي بيده خيال اخت الملك وكأنها كانت تطل عليهم متوارية فانشد طرفة :

(يابأبي الظبي الذي تبرق شفتاه ولولا الملك الجالس اثنني فاه)

و يروى (شنفاه) مكان (شفتاه) فسمع الملك قوله فسكت على غيظ .

وبدرت من الملك بوادر منكرة في سياسة بلاده : منها اليومان الملعونان : يوم البؤس الذي كان يقتل فيه كل من يصادفه و يوم النعيم الذي كان يكرم فيه كل من يصادفه . فنظم طرفة قصيدة انتقده فيها — وكان جريئاً على النقد — منها قوله :

(فلمّا لما مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تدور)

(لعمرك أن قابوس بن هند ليخلط ملكه نوك كثير)

و (الرغوث) الناقة او النعجة الحلوب . فصمم الملك على قتله فحذره بعض رجاله

عاقبة الامر . وخوّفه عشيرة طرفة وخاله المتلمس الشاعر الكبير المشهور : فإن هذا اذا هجاه أسقطه في القبائل .

فارتأى الملك ان يتخلص منهما جميعاً فدعاهما اليه واعطاهما كتابين الى المكعبر عامله بالبحرين يأمره بقتلهما وأوهمهما أنه يأمر لهما بصلة وجائزة ثم فطن المتلمس للامر فمزق كتابه في حكاية ليس هنا محلها وقال لابن اخته مزق كتابك-أنت أيضاً وأنجُ معي فحملت طرفة غرارة الشباب على عدم المبالاة وقال لخاله : « لئن كان اجترأ عليك فما كان ليجترئ عليّ » ثم ذهب الى عامل البحرين فأطلعه العامل على جلية الامر . وفسح له مجال الهرب . فلم يفعل أنفة واستكبارا . وأشار على شبان عبد القيس — وهي قبيلة بالبحرين — أن يسقوه الخمر وأن يفصدوا أكحله وهو ثمل . والاكحل عرق في القدم . ففعلوا فمات . وكان في حدود العشرين من العمر . ولذلك يقال له (ابن العشرين) وقيل انه بلغ ستاً وعشرين بدليل قول اخته في رثائه :

(عددنا له ستاً وعشرين حجةً فلما توفاها استوى سيداً ضخما)

(فجئنا به لما رجونا أيابه عَلَى خير حالٍ : لا وليداً ولا فطما)

و (النجم) المتناهي في السن .

وفي معلقة طرفة أبيات أشار بها الى حادثة شربه الخمر في البحرين مع فتيان عبد القيس : لكن ليس هذا كل السبب الذي حمل طرفة على نظم معلقته . فان هناك سبباً آخر هاج من قريحته . وحرك من انفته :

كان لطرفة اخ اسمه (معبد) وكان لمعبد ابل ضلت فذهب طرفة الى ابن عم لهم اسمه (مالك) يسأله ان يساعده في استرداد الابل . ولا يخفى ما يكون في أبناء الاعمام احياناً من الصلف والجفاء اذا رأوا ابن عم لهم يدانيهم ويحبب اليهم من اجل قضاء امر ما . فانتهره ابن عمه وقال له (فرّطتم في ابلكم ثم جئتم تتعبونني في طلبها) فتأثر طرفة من قوله . وهاجت شاعريته . فقال معلقته . ومن أحسن ما جاء فيها أبياته في معاتبة ابن عمه مالك على ما سيجيء :

والتحقيق ان كل ابيات معلقة طرفة لم تقل في سبب واحد . ولا في زمن واحد

ومثلها المعلقات الاخرى : فكان الواحد من اربابها يعرض له السبب الآن فينظم فيه ابياتًا . ثم يعرض له سبب آخر فيقول فيه قطعة من البحر والقافية . حتى اذا كثرت الابيات ضم بعضها الى بعض او فعل هذا بعض رواة شعره . و بهذه الصورة تتألف المعلقة وتبرز الى الوجود ومن قلب نظره في المعلقات وسياقاتها وجد الامر كما قلنا .

وقد ذهب اكثر علماء الادب الى ان (طرفة) في الطبقة الثانية من ارباب المعلقات : اي انه بعد امرئ القيس وزهير والنابغة . لكن (عمرو بن العلاء) — وهو اكبر علماء اللغة — كان يقول (ان طرَفة أشعرهم واحدة) يعني اشهرهم معلقة . بل ذهب ابن مقبل الى ابعد من هذا فقال : (ان طرَفة اشعر الناس) .

اما مذهب (طرفة) في الشعر وحسن تصرفه في فنونه وشعاب اساليبه ومنزلته في ذلك بين رفاقه اصحاب المعلقات — فيتجلى لنا من اعمال مقارنة إجمالية بين معلقته ومعلقة امرئ القيس . وحبذا لو اتسع الوقت للمقارنة بينها و بين سائر المعلقات

مقارنة بين معلقة طرفة ومعلقة امرئ القيس

معلقة طرفة مئة وثلاثة ابيات . ومطلعها :

لخولة اطلال ببُرقة ثَهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

هلموا بنا ايها الافاضل نقف مع طرفة على اطلال محبوبته (خولة) ثم نسير معه لنطوف حيث طاف . ونسمع منه ما اتى على ذكره من الاحوال والاوصاف :

ها نحن نسمعه يصف أطلال خولة ببيتين من الشعر .

ثم نسمعه يصف نياق الظعائن فيشبهها بالسفن بثلاثة ابيات .

ثم وصف محبوبته — بخمسة ابيات .

ثم الناقة التي ساعدته على نيل مقاصده — بثلاثين بيتًا .

ثم الفلاة التي اجتازها وأنها مهلكة — بثلاثة ابيات .

ثم نفسه بنشاط العزيمة وكفاية المهم — بستة ابيات .

ثم عاد الى ناقته ووصف سرعتها — بثلاثة ابيات .

ثم عاد الى نفسه فوصفها بالجود والشرف وانه يجمع بين الجد والهزل — بثلاثة ابيات ايضًا

ثم وصف مجلس لهوه مع قينته وندمائه — بار بعة ابيات .

ثم ذكر رأيه في هـذه الحياة الدنيا وقال : انما هي شرب ولعب ومسرات . وذم البخل والبخلاء الذين يضنون باموالهم فلا ينفقونها في هـذا السبيل . ورد على الذين يلومونه في رأيه هذا — كل ذلك بستة عشر بيتاً .

ثم عاتب ابن عمه (مالك) وقص ما وقع بينهما — بار بعة عشر بيتاً .

ثم رجع الى وصف نفسه وسيفه ونحره النياق في سبيل اللهو ومانصح له ابوه به — باحد عشر بيتاً .

ثم انتهى الى نهاية كل حيّ وهي الموت فاستوقفنا على مصرعه . وعلّم ابنة أخيه (معبد) كيف تندبه . وتبكي عليه . وترثيه بما هو جدير به من القول : لا بما ترثي به لئام الناس وذوي البخل والشح فيهم — بتسعة ابيات

ثم ختم معلقته بابيات حكمية بليغة سارت مسير الامثال .

ويمكن ارجاع هذه المواضيع كلها الى موضوعات ثلاثة كبرى :

(١) وصف نفسه واطواره — بار بعة وثلاثين بيتاً .

(٢) أخلاقه خاصة . وآداب عامة . بثلاثة وثلاثين بيتاً .

(٣) وصف الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً .

بهذه المواضيع يمكن ان نعرف الفرق الادبي بين معلقته ومعلقة امرئ القيس: فان امرأ القيس لم يضرب بسهم في وصف الاخلاق وتقرير الحكم والآداب كما فعل طرفة وانما هو اسهب في وصف امور قد لا تكون مفيدة كالافادة التي نشعر بها في معلقة طرفة :

لنقف مع امرئ القيس بسقط اللوى بين الدخول فحومل . ثم نطوف مطافه . ونسمع اوصافه :

(١) أسهب امرؤ القيس في وصف النساء ووقائعه معهن — بسبعة وثلاثين بيتاً .

(٢) وفي وصف فرسه — بثمانية عشر بيتاً

(٣) وفي وصف السحب والامطار — بثلاثة عشر بيتاً

هذه هي امهات الموضوعات التي أتى عليها امرؤ القيس في معلقته وقد استغرقت سبعة وستين بيتاً من واحد وثمانين بيتاً التي هي مجموع أبيات معلقته فيبقى اربعة عشر

بيتاً . وصف نفسه ببيت . والاطلال بستة . والليل باربعة . والمفاوز بثلاثة . ولم نسمعه قال بيتاً واحداً في الآداب العامة ولا الاخلاق ولا الحكم . على العكس من (طرفة) الذي أسمعنا من ذلك الكثير الطيب . وكان من اكبر مزايا معلقته ما تضمنته من هذه الحكم والامثال .

ففائدتنا الادبية والاجتماعية من معلقة (طرفة) اعظم وأجزل منها في معلقة امريء القيس اللهم الا ان يدّعى بافضلية هذه من حيث الصناعة الشعرية . وربما كان في هذا التفضيل ايضاً نظر يتحقق لكم ايها السادة بعرض نموذجات عليكم من معلقة (طرفة) مفصلة ومتمايزة بعناوين خاصة بها .

توارد المعلقة اي موافقتها لغيرها

توارد (طرفة) مع (امريء القيس) في قوله :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسىً وتجلّد

وقال امرؤ القيس :

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتحمل

فهل هذا من قبيل توارد الخواطر على معنى واحد من دون ان يسمع احدهما ماقاله الآخر . او هو سرقة . و بعبارة انزه اقتباس ؟ وايهما الذي اقتبس من الآخر .

ووفاة (طرفة) كانت سنة (٥٥٠) للميلاد وفي دائرة المعارف الفرنسوية سنة (٥٧٠) وهي السنة التي ولد فيها محمد (ص) . اما امرؤ القيس فكانت وفاته سنة (٥٦٠)

ارق بيت في معلقة طرفة

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها عليه . نقي اللون . لم يتخدّد

اي لم يتشقق و يتخف و يلتصق لحمه بعظمه . بل هو بَضّ ممتلئ سمناً .

تشبيهاتها البديعة

كثيرة واحلاها موقعاً قوله يصف النياق والظعائن :

كأن حدوج المالكية غدوة خلايا سفين بالنواصف من دَدِ

يريد بالحدوج النياق وما عليها من الهوادج . و باالخلايا السفن العظام . و بالنواصف الاماكن الرحبة او الاباطح . و (دد) مكان .

وقوله في وصف السفائن :

يشق حبابَ الماءِ حيزومها بها كما قسم الترب المفايلُ باليد

(حباب الماء) سطحه او فقاقيعه . و (حيزوم السفينة) صدرها وجؤجؤها . و (المفايل) اسم فاعل من (النيال) ضرب من اللعب عند الاعراب : يجمع اللاعب التراب و يدفن فيه شيئاً كخاتم مثلاً . ثم يقسمه باليد نصفين . و يسأل الآخر عن الدفين في أيهما ؟ فمن أصاب قمَر . ومن أخطأ قمُر .

وقوله في صفة عيني الناقة :

وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرةٍ قلتِ موردِ

(الماويتان) المرآتان و (استكنتا) استقرتا و (الحجاج) بفتح اوله العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب و (القلت) نقرة في الصخرة يستنقع فيها ماء المطر

يقول ان عينيها صافيتان كالمرآتين . وقد أودعتا حجاجين من رأس كصخرة ذات نقرة كالنقرة التي يتجمع فيها ماء المطر : فيكون قد شبه عينيها بالمرآتين اولاً ثم بماء القلات (جمع قلت) ثانياً عدا ما فيه من تشبيه حجاجيها بالكهفين ورأسها بالصخرة .

وقوله في صفة تبختر الناقة في المشي :

فذالت كما ذالت وليدة مجلس تُري ربَّها أذيالَ سَحْلٍ ممدّد

(ذالت) مأخوذ من الذيل وهو ان يمشي المرء ويجر ذيله و(السحل) ثوب قطن ابيض : كانت ناقة طرفة اذا ضربها بسوطه ذالت اي نشرت ذيلها على فخذيها . كما تفعل الوليدة وهي الجويرية في مجلس تسقي فيه ربها اي سيدها الخمر . او انها تفعل ذلك حين ترقص امامه : فهي تجرّ ذيل ثوبها من القطن الابيض .

وقوله في صفة وثاقة خلق الناقة :

كقنطرة الرومي : أقسم ربُّها لتُكتنفنْ حتى تشاد بقرْمد

بقرمد متعلق بتكتنفن . وتشاد ترفع : اي لا يزال يحيطها بالآجرّ حتى ترتفع .

وقوله في وصف ذنبها :

كأن جناحي مضرحيٍّ تكنفا حفافيه شكاً في العسيب بمسرد

(المضرحيّ) النسر الابيض و (حفافيه) اي في جانبي الذنب و (العسيب) عظم الذنب و (المسرد) المخرز .

وقوله في صفة القينة . وهي المغنية :

اذا رجّعت في صوتها خلتَ صوتها تجاوبَ أظآرٍ على رُبعٍ رَدِي

يقول اذا رددت تلك القينة صوتها وهي تغني حسبته لحسنه حنين نياقٍ تجاوب من أجل فصيل لها مات .

ومما تفحش به قوله :

ندامايَ بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس الندامى بضّة المتجرد

(المجسد) قميص يلي الجسد اي قد صبغ بالجساد وهو الزعفران و (قطاب الجيب) مخرج الرأس منه .

يقول ان شق جيب صدرها واسع حتى اذا مدّ الندامى أيديهم للجس رفقت ورضيت . وهذا كل ما جاء فيها من الهنات .

ومن تعابيره الرشيقة قوله في صفة إسراع الناقة وأدبها وخوفها من لذع صوته :

وإن شئتُ لم ترقل وإن شئتُ أرقلت مخافة ملويٍّ من القدّ محصدِ

(ترقل) تسرع و (الملوي) يعني به السوط و (محصد) محكم الفتل .

وان شئتُ سامى واسط الكور رأسها وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد

(سامى) ارتفع (واسط الكور) أعلى الحدج . والحدج للبعير كالسرج للفرس و (نجاء الخفيدد) اي مثل اسراع الظليم وهو ذكر النعام .

تباري عتاقاً ناجياتٍ وأتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مورٍ معبّد

(تباري) تعارض وتسابق (ناجيات) نياقاً سريعات و(الوظيف) مستدق عظم الساق و (المور) الطريق المستوي الموطوء .

وقوله في صفة حالته مع ابن عمه (مالك) :

فمالي أراني ، ابن عمي مالكا متى ْدن منه ينأ عني و يبعد

وقوله في صفة سيفه :

حسام اذا ما قمت منتصراً به كفى العودَ منه البدءُ: ليس بمعضد

(منتصراً به) اي منتقماً به لنفسي ، يقول : ان الضربة الاولى به تغني عن ضربة ثانية . وليس هو بمعضد اي سيف يمتهن لقطع به الاشجار .

(ما فيها من الشؤون التي تهم الباحث في تاريخ العرب)

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم اترب المفـايل باليد

مرّ شرح هذا البيت وهو يفيدنا شيئاً مما كانت عليه العرب في العابهم وملاهيهم .

وقوله :

كقنطرة الرومي أقسم ربها لتُكتنفن حتى تُشاد بمَرْمد

يفيدنا هذا البيت ان اليونانيين كانوا معروفين بالحذق في فن المعمار لدى عرب الجاهلية بحيث يضرب بهم المثل .

وقوله في صفة الناقة :

وأتلع نهّاض اذا صعدت به كسكّان بوصيٍّ بدجلة مصعد

وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني : قدّه لم يجرّد

وأروع نبّاض أحذّ ململم كمرداة صخر في صفيح مصمّد

(أتلع) عنق (سكّان) دفة السفينة (بوصي) معرب (بوزي) السفينة او النوتي (مشفر) شفة (سبت) الجلد المدبوغ (قده الخ) اي لم يقع في قطعه اضطراب (اروع) يعني به قلب الناقة الذي يرتاع من كل شيء (احذّ) سريع الحركة (مرداة) حجر مستطيل يكسر به الصخر (صفيح) حجارة رقيقة و يعني بها اضلاعها .

وقد استفدنا من هذه الابيات اموراً من الاعمال والصناعات :

الملاحة في دجلة . وصنع الورق في الشام . والجلد المدبوغ في اليمن . وان العرب قبيل الاسلام كانوا يكسرون المحور بالمرداة كما كان شأنهم في الدور الحجري .

ما في المعلقة من الادب والحكمة

هذا الضرب من الشعر استوفاه طرفة وأجاد فيه ، ونقسم أبيات الادب في قصيدته الى اقسام : منها ما جرى مجرى الامثال :

الا ايها ذا الزاجري أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي؟

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى — كأطول المُرخى وثنياه باليد

(ما) هي المصدرية التوقيتية اي ان شأن الانسان في هذه الحياة الدنيا كشأن ناقة لها زمام مرخي أطيل لها لترعى . ولكن طرفيه مثنيان في يد صاحبها فهو لا يلبث ان يجذبها اليه . وهكذا الموت ما دام هو لا يصيب الفتى : لا يقال إنه ناج منه . فهو في صدد ان يجذبه اليه : كصاحب الدابة والدابة :

وظلمُ ذوي القربى اشدّ مضاضة عَلَى المرءِ من وقع الحسام المهنّد

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيداً غداً : ما أقرب اليوم من غد

(أعداد) جمع عدّ وهو الماء لا ينقطع مدده ومراده بالغد المستقبل الذي يموت فيه الانسان يقول ان الموت كالماء الوارد : يردونها واحداً بعد آخر . وهي لا ينفد مددها .

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد

(تبع له) تشتري وتبتاع لاجله (بتاتاً) هو كساء المسافر وأداته . ويروى انه (صلعم) أنشد هذا البيت (ستبدي الخ) بين يديه فقال (هو من كلام النبوة) اي على طريقته .

ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما تنقص الايام والدهر ينفد

(يعتام) يختار (الفاحش) المبالغ في البخل و (عقيلته) ماله العزيز عليه والمعنى ان ايام العمر كالكنز من المال : يؤخذ منه للنفقة كل يوم . وما كان هذا شأنه لابد ان ينفد اخيراً .

التمدح والفخر

اذا القوم قالوا: مَن فتى؟ خلتُ أنني عُنيت فلم أكسل ولم اتبلّد

(اتبلد) اي اتحير او أخمل وهذا على حد قول الحماسي :

(لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس ؟ خالهم اياه يعنونا)

فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تلتمسني في الحوانيت تصطد

وان يلتق الحيّ الجميع تلاقني الى ذروة البيت الشريف المصمّد

قوله (في حلقة القوم) اي للمسامرة او لإدارة الرأي و(الحوانيت) يريد بها الحانات وقوله (وان يلتق الخ) اي يلتقون للمناخرة في اعمال المجد وقوله (الى ذروة) اي في ذروة فإلى نابت مناب (في) كقول النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطليّ به القار اجرب

فقوله (الى الناس) اي في الناس . ومنه قولهم (جلست الى القوم) اي فيهم وقوله (المصمّد) اي المقصود كثيراً .

انا الرجل الضرب الذي تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقّد

(الضرب) اي الماضي الندب واصله الخفيف اللحم وقوله (خشاش) اي كثير الدخول في الامور الصعبة .

وقال موصياً ابنة اخيه (معبد) ومعرّضاً بآخرين من منافسيه :

فان مت فانعيني بما انا اهله وشقّي عليّ الجيب يا ابنة معبد

ولا تجعليني كامرئٍ ليس همه كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي

بطيء عن الجلّى سريعٍ الى الخنا ذلول باجماع الرجال ملهّدِ

قوله (ذلول باجماع) اي اذلته او ذللته كثرة ضرب الرجال له بجمع ايديهم فهو (ملهد) اي كثيراً ما يضربونه في ظهره او صدره بقبضات أيديهم .

فلو كنت وغلاً في الرجال لضرّني عداوة ذي الأصحاب والمتوحد

(وغلاً) اي لئيماً جباناً

ولكن نفى عني الرجال جراءتي عليهم وإقدامي وصدقي ومحتدي

قوله (نفى عني الخ) اي كشفهم ونحاهم عن مباراتي في حلبة المجد

لعمرك ما امري عليّ بغمة نهاري . ولا ليلي عليّ بسرمد

اي لا تعمى عليّ وجوه انفاذ اموري وقضاء مصالحي في النهار . كما انه لا يطول ليلي في الغم والحسرة على مافاتني قضاؤه : لاني اكون قد قضيت ونفذت كل ما يلزمني عمله فلم يفتني شيء اتحسر عليه .

رأيه في الحياة او مذهبه الابيكوري

(ابيكور) فيلسوف يوناني مشهور . وخلاصة فلسفته أن اللذة اساس السعادة في الحياة الانسانية . وانه يجب علينا ان نبذل كل مساعينا في سبيل نيلها والحصول عليها .

قال فينيلون (الافرنسي) مؤلف كتاب تليماك : ان الناس نظروا الى (ابيكور) كرجل يرى الانغماس في اللذات وتقمم الشهوات ولو كانت سافلة — مذهباً له — وهذا ناشئ عن عدم فهم حقيقة فلسفته :

وحقيقتها ان الملذوذ عنده يجب ان يساعد على ترقية الفكر البشري وان يكون تناول اللذات ضمن دائرة الفضيلة والحكمة .

ومع هذا فقد فهم معظم الناس ان (ابيكور) يقول بتناول الملذوذات على أية صورة وقعت . واخذوا يطلقون كلمة (ابيكوري) على كل رجل منغمس في اللذات والشهوات من دون مبالاة فضيحة أو عار .

و يظهر ان (طرفة بن العبد) كان ابيكورياً بدليل ابياته الآتية :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي و إنفاقي طريفي ومتلدي

اي ما زال هذا دأبي وديدني ٠

الى ان تحامتني العشيرة كلها وأُفردت أفراد البعير المعبد

رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

(بني غبراء) عني بهم الفقراء الذين ينامون على الغبراء وهي الارض ٠ و (اهل هذاك) الخ عني بهم الاغنياء ٠ و (الطراف) الخباء من جلد ٠ يقول ان اكبر دليل على شرفه ومجده وحسن طريقته ان فريقي الفقراء والاغنياء يألفونه ولا ينفرون منه : الاولون لغمره لهم بالعطايا والصلات ٠ واما الآخرون فلمشاركته لهم في الشرب واقتطاف اللذات ٠ وما بقي من الناس غير هذين الفريقين فهم حسدة أغبياء ٠

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

(فان كنت) ايها اللائم الحاسد من الفريق الثالث

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي

(هن من عيشة الفتى) اي عيشته اللذيذة او المعنى هن مما تتوقف عليه لذة عيشه يقول : لولا هذه الاشياء التي هي منتهى لذة الحياة وسعادتها عندي لما باليت الموت واذا كنت ارغب في الحياة واتمنى طولها فذاك لاني مولع بهذه الاشياء الثلاثة :

فمنهن سبقي العاذلات بشربة كُميت متى ما تعل بالماء تزبد

وكرّي اذا نادى المضاف — مجنباً كسيد الغضا نبّهته المتورّد

(المضاف) الخائف المذعور و (مجنباً) فرساً في عظامه العطاف و (السيد) الذئب و (المتورد) العطشان وارد الماء ٠

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعمّد

كريم يروّي نفسه في حياته : ستعلم ان متنا غداً أيّنا الصدي؟

ويظهر من هذا ان عرب الجاهلية كانوا يتأثمون من شرب الخمر ويعتقدون ان من يشربها في الدنيا يعطش في الآخرة ٠

أرى قبر نحّام بخيل بمـاله كقبر غويّ في البطالة مفسد

(النحام) البخيل لانه ينحم اي يسعل كما سئل صدقة و (الغوي) المستهتر لا يبالي اللائمين و (المفسد) المبذر .

ترى جُثوتين من تراب عليهما صفائحُ صمٌّ في صفيح منضد

(الجثوة) كومة الحجارة وقوله في (صفيح) اي انك ترى القبرين في جملة قبور منضدة كثيرة . واذا كان قبر البخيل كقبر المنفق في ذاته وكان مآل كل منهما ان تكون كومتان من صفائح على قبريهما فلماذا يخل البخيل ولا يحذو حذو الغويّ .

عتاب ابن عمه مالك

يلوم وما أدري علَى مَ يلومني كما لامني في الحيّ قرط بن معبد

فمـالي أراني وابن عمي مـالكاً متى أدن منه ينأَ عني ويبعد

وأياسني من كل خير طلبته كأنا وضعناه الى رأس ملحـد

قوله (كأنا وضعناه الخ) اي كأنا وضعنا طلبنا وقدمناه الى ملحد اي ميت مدفون في اللحد .

وان أُدع للجلى اكن من حماتها وان يأتك الاعداء بالجهد اجهد

(أُدعَ) اي من قبلك يا ابن عمي و (الجلى) الخطب العظيم (بالجهد) اي بمشقة لا تطيقها و (أجهد) اجتهد في دفعها .

وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بشرب حياض الموت قبل التهدد

اي اذا سبوك ابادرهم فاسقيهم من مشروب الموت واوردهم حياضه قبل ان اهددهم بالاقوال اي ان فعلي يسبق قولي .

فلو كان مولاي امرءاً هو غيره لفرج كربي او لأنظرني غد

(مولاي) اي ابن عمي وقوله (لأنظرني) اي لأمهلني .

ولكن مولاي امرؤٌ هو خانقي علَى الشكر والتـآل أوأنا مفتدي .

يقول ولكن ابن عمي خانني وآخذ باكظامي على كل حال : سواء شكرت له . او سألته العفو . او افتديت منه بمال

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فذرني وخلقي انني لك شاكر ولو حل بيتي نائياً عند ضرغد

اي اتركني على ما انا عليه من الاخلاق والطباع فانا راضٍ بها ولا طاقة لي بتغييرها . واذا فعلت هذا أكون شاكراً لك . مهما كنت بعيداً عنك ولو في جبل ضرغد .

حال ابيه معه وصبره عليه

يقول — وقد تر الوظيف وساقها ألستَ ترى انّي قد أتيتُ بمُؤْيد

(تر) سقط و (الوظيف) مستدق الساق و (مؤيد) داهية يثقل وقعها على النفس (يقول) اي ذلك الشيخ . وقد مرّ ذكره في الابيات السابقة . قال الزوزني هو ابوه . لكن ورد في ترجمة طرفة ان اباه مات وتركه صغيراً . وعلى هذا يكون المراد بالشيخ عمه أو وصيّ أبيه عليه .

وقال : الا ! ماذا ترون بشارب شديد عُلينا بغيه متعمد ؟

اي وقال عمه ايضاً لجلسائه المشاهدين عقر طرفة للنياق . و (ترون) اي تشيرون .

وقال : ذروه انما نفعها له والا تكفوا قاصيَ البرك يزدد

وكأن الشيخ بعد ما استشارهم عاد فقال : دعوه فان النياق ارثه ونفعها عائد اليه . فدونكم ردوا عليه تلك النياق القاصية الشاردة البعيدة عنه او التي ابعدناها واقصيناها نحن عنه . واني اخشى ان لم تفعلوا ان يزداد غضبه فيعقر النياق كلها . ولا يُبقي على شيء منها تشفياً وانتقاماً .

أبيات مغلقة في المعلقة

ما كان من هذا القبيل في معلقة طرفة قليل جداً و يمكن ان يعد منه قوله :

جمالية وجناء تردي كأنها سفنّجة تبري لاذعر مرْبد

كأن علوب النسع في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر قردد

وتبسم عن ألمى كأن منوّراً تخلل حرّ الرمل دعص له ندي

هذه هي النموذجات التي اخببت عرضها على مسامعكم ايها الافاضل — من معلقة (طرفة) وهي نصف ابياتها . واذا لاحظنا معها ان طرَفة لما قالها كان في حدود العشرين من عمره حكمنا مع (ابن مقبل) بأن طرفة أشعر الناس . أو لا فمع (عمرو ابن العلاء) بانه اشعر اصحاب المعلقات .

مخطوطات

مما اقتناه المجمع العلمي مؤخراً كتاب شرح ايضاح ابي علي الفارسي في النحو والصرف المتوفى سنة ٣٧٧ المشتمل على ١٩٦ باباً منها ١٦٦ في النحو والباقي في الصرف الفه حين قرأ عليه عضد الدولة بن بويه ولما رآه استقصره وقال له مازدت على ما اعرف شيئًا وانما يصلح هذا للصبيان فمضى الشيخ وصنف كتاب التكملة وحملها اليه فلما وقف عليها قال قد غضب الشيخ وفاه بما لا نعرفه . والشرح المذكور للامام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ وهو يروي الكتاب المذكور عن محمد بن الحسين بن محمد ابن عبد الوارث عن مؤلفه الشيخ ابي علي الحسن بن احمد الفارسي كما في خطبة الكتاب وكان شرحه اولاً شرحًا مبسوطًا نحو ثلاثين مجلداً وسماه المغني ثم لخصه في كتاب سماه المقتصد قال في مقدمته عرضتم علي ّ ايدكم الله رغبتكم في كتاب الايضاح وتحقيقه وتحصيل معانيه ونكته وذكرتم ان ما عملت فيه من الكتاب الموسوم بالمغني لا يطول باع كل احد لبلوغ رتبته وتسنم ذروته لاشتماله على مسائل جمة وفصول ممتدة فرأيتم الرأي ان املي عليكم كتابًا متوسطًا يفضي بمتأمله الى اغراض هذا الكتاب و يعتدمنه ومن هذا العلم نسبًا ينفي عن طبعه وحشة الاجانب وتعدية انس الجانس والمناسب و يلين له جانبًا من عويصه و يهديه الى تصعب طريقه حتى يتوصل منه الى طلب الغاية و يطلع منه نجم السعي للنهاية فوجدت الميل الى مايعمر معالمكم و يثمر مساعيكم اذهب في سبيل المروءة والكرم واشد مناسبة لسجاحة الشيم الخ والنسخة المذكورة في ٤٥٣ صحيفة بالقطع الكامل كتبت سنة ١٨٠ سعيد الكرمي